

## سريات مكسورة: الرسم الفلسطيني

داود رتش

كتب إدوارد سعيد "إن نمطنا الخصوصي ليس السرد الذي تحدث فيه مشاهد على التوالي بل هو السرديات المكسورة والعمليات المجزأة..." لذلك لا أستطيع أن أناقش في هذه المقالة "قصة فن الرسم الفلسطيني" ولكن يجب أن أعطي صورة، سواء تكون مبهمة أم واضحة، لهوية هذا الفن وأهم ملامحه وابداعه اللامع. عندما نتكلم عن تاريخ فن وطني، أغلبيةً نستطيع أن نذكر بعض المؤسسات الرسمية والجامعات والمتاحف والمعارض التي تقع في وضع مرموق في عاصمة البلد وتجذب فنانين من المحافظات من أجل تشكيل تقاليد وطنية مشتركة - أو، بكلمة، التمركز. دمرت نكبة 1948 أي أمل لتمركز الفن الفلسطيني. وشرعت الباب لانتشار وانفصال الفنانين الفلسطينيين لكل انحاء العالم. حتى اليوم ليس هناك مؤسسات رسمية للفن الفلسطيني (الا متحف واحد في رام الله وهو أسس السنة الماضية) وانقسم الشعب الفلسطيني إلى أربع أقسام عادةً تنقصها صلة قوية: الأول: العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة، الثاني: الفلسطينيون لهم جنسية إسرائيلية، الثالث: الفنانين الفلسطينيين في البلدان العربية، والرابع: الفنانين الفلسطينيين في الغرب. ولكن على الرغم من هذا الإنقسام والهجرة القسرية التي أعاققت التواصل والتعاون ما زال تطور تاريخ الفن الفلسطيني على أسس مشتركة. ولذلك نستطيع أن نرى عاملين يميّزان رسم اللوحات الفلسطيني وهما استعمال لغة رمزية ورفض الأساليب الغربية لتمثيل ومع ذلك توجد استثناءات ولا يتمسك كل فنان بهذان المبدئين الاثنتين. في الفقرات القادمة سأشرح المبدئين وسأعطي أمثال من لوحات تمثلهما.

### المبدئين

كما يشترك الفنانين الفلسطينيين بغض النظر عن تعليمهم أو خلفيتهم في تراثٍ متحدٍ، كذلك يشتركون في احتضان لغة رمزية متحدة التي تتكوّن من عدد المجازات. تشير هذه الرموز إلى ملامح الهوية الفلسطينية المشتركة. من سبيل المثال، يرمز الحصان إلى الثورة والناي إلى انسجام المقاومة ومفتاح الى حق العودة وجدار الفصل العنصري إلى ظلم الاحتلال والصبار إلى المزارع الفلاحية كما كانت قبل النكبة تأتي هذه اللغة من اتفاق ضمني وليس من مصدر مركزي فلا تقتصر إلى الفن البصري فقط بل تروج أيضاً في كل وسيلة فنية - الكتابة والموسيقى والنحت. وفوق ذلك كله الرمز الأهم هو الأرض نفسها التي تمثل تجسيد الهوية الفلسطينية وتوفّر موضوع للرسم.

المبدأ الثاني التي يميّز معظم فن الرسم الفلسطيني هو رفض استعمال الابتكارات الغربية في التمثيل البصري (مثل الرسم المنظوري والتظليل). يجد الرسامين الفلسطينيين مصدر الإلهام في التقاليد العربية وبشكل أوسع الحضارات القديمة في الشرق الاوسط وهذا من أجل المقاومة الرمزية للإحتلال الإسرائيلي الغربي والإفتخار في التراث العربي. يقصد الكثير من الفنانين الفلسطينيين اختراع طريقة جديدة لثقافة مستقرة.

## نبيل اناني

ولد نبيل اناني في قرية اللطرون قريبة من القدس سنة 1943. درس الفن في الاسكندرية وسكن معظم حياته ولا يزال يسكن في رام الله. كان الفنان الأول الذي حصل على الجائزة الوطنية الفلسطينية عام 1997 ومُعتبر من أكثر مآثر من الفنانين الفلسطينيين. رسم هذه اللوحة بلا عنوان في 2015. يطبق فيه الرسم المنظوري والتظليل تطبيقاً غير كاملاً يجعل في المشاهد مشاعر من الاستغراب والتفكير وتسحبه إلى عالم الفلسطينية. أساس اللوحة هو الخلفية: الأرض الفلسطينية، بمعنى البيئة المبنية والطبيعية سواء أمام أم وراء الجدار. ترمز الحقيبة إلى حالة المنفى المستدامة وهذا الرمز موجود أيضاً في سياقات عديدة مثل القصيدة "مطار أثينا" لمحمود درويش. يخل الجدار هدوء الحيز ويوفر سبب عزلة الفتاة عن مدينتها.



الحقيبة والجدار والأرض: ثلاثة رموز من العشرات التي تظهر مشتركاً وملترماً سياسياً في الفن الفلسطيني.

## جمانة الحسيني

ولدت الرسامة جمانة الحسيني في القدس 1932 وتسكن وترسم في باريس. تصوّر الأغلبية من لوحاتها مدينة القدس وذلك في بعدين بدون أي استخدام لتقنية المنظورية. على الرغم من سكنها الطويل في الغرب هي ما تزال مهووسة بأرضها الأصلية وتصويرها - كالكثير من الرسامين الفلسطينيين. الحصان أمام المدينة رمز الشجاعة والأمل. مع أن



هذه اللوحة والسابقة فيهما مدينة, ولعلها نفس المدينة فيجدر بنا أن نجد تناقض بينهما: الحسيني أكثر متفائل من اناني ومدينتها أحلى وبنقصها الجدار. يمكننا أن نعزو هذا إلى حياة الفنانة أكثر منفصل عن العنف والمعاناة اليومية في فلسطين المحتلة.

## عاصم أبو شقرة

كان عاصم أبو شقرة فنان فلسطيني وُلد داخل الحدود الإسرائيلية فكان له جنسية إسرائيلية. عاش فترة قصيرة (1961-1990) وكان موته المبكر من السرطان كارثة في عالم الفن الفلسطيني. كان مهووس برمز الصبارة ورسمه أكثر من أي موضوع آخر. الصبار رمز متين للحياة الفلسطينية كما كان قبل النكبة بسبب استخدام ذلك النبات كإشارة انقسام المزارع التقليدية بين الأسر. وبنفس الوقت كانت الصبارة شائكة وكناية عن المقاومة المشوكة الحتمية في الأرض ضد المحتلين كما نرى في القصيدة "أبد الصبار" لمحمود درويش ولكن الإسرائيليين حاولوا أيضاً اقتناص الصبار كرمز وطني إسرائيلي. و رسم أبو شقرة الصبارة بلا استثناء كهذه اللوحة: في الأصيل. ويلمّح هذا الإيداع إلى تحوّل الثقافة الفلسطينية من قوة برية مع تأثيرات ملموسة إلى شئ مروض مسيطر عليه ومستخدم في تزيين البيت. تكشف الفوضى المرئية في اللوحة عن الغضب الفلسطيني المحدد



داخل الاختلال والاصيص. ولا حاجة إلى القول أبو شقرة كالذين سبقوه رفض المنظورية.

## صوفي حربي

الفنانة الوحيدة سأناقشها من الفترة ما قبل النكبة هي صوفي حربي (1906-1998) من القدس. ركزت على استخدام الألوان المائية لرسم مناظر طبيعية. بسبب سياقها قبل الاحتلال لم تشترك حربي بنفس المعاداة للتقنيات الغربية وبنفس رموز المقاومة. ومع ذلك، مع موقفها المختلف جداً بالنسبة للأحداث السياسية، اشتركت بنفس الحب للأرض. وفي نهاية المطاف يشير ذلك إلى استدامة رمز الأرض في الثقافة الفلسطينية بمستوى أعلى من الرموز والتقاليد الأخرى. بمجرد رسم بيئتها مهّدت حربي طريق لتطور الفن الفلسطيني.

